الجانب الاجتماعى
فى الشعر الحديث

فى أرجح الظن أن البيئة المصرية لم تستطع تلوين الشعر عندنا بلونها المميز ، وطابعها الخاص — لا القصور فيها — بل لأن شعراءنا — سامحهم الله — لا يريدون أن يفهموا أنهم "مصريون" . عليهم أن يلمسوا الحياة التى تكتنفهم لمسا رفيقا حينا ، وعنيفا أحيانا ، وان يتجاوبوا معها تجاوبا عميقا دقيقا ، يدفعهم لتصوير تلك الحياة تصويرا عميقا دقيقا كذلك .. وإلا فمن من شعرائنا النابهين يستطيع أن يزعم انه عمر الجانب الاجتماعى فى الشعر الحديث ، بقصائده العامرات ... ومن منهم يجرؤ فيدعى أن يؤثر فى الوسط الذى يعيش فيه ، أو يتأثر به ، وقد تبلورت فى قصائده ومقطوعاته آمال أمته وامانيها .

تصطرع فى مجتمعنا المصرى أحداث اجتماعية ، وتضطرب فيه علل وأدواء ، و بين هذه وتلك تشرق فى هذا الأفق العائم أمان وآمال ... فهل تسلل السادة الشعراء إلى كل أولئك فى خفة ولباقة ، واستلطفوا مكنوناتها ، واكتنهوا أسرارها ؟ ؟

بيد و أن شعراءنا يؤثرون "التحليق" فى أجوائهم الفساح ، ولا يرضون لعنهم أن يتخلج على أرض هذا الوطن .

إن الأسطورة الخادعة (الفن للفن) لم يعد لها فى تقدير الأيام حساب ، فعلى إخواننا الشعراء أن يهبطوا من أجوائهم ليعيشوا معنا فلن يجدى "النسيم المصفق" ولا "الشعاع المختنق" على مجتمعنا شيئا .

إن هذه الغمرة التى يكتوى العالم بنارها ستنكشف أخيرا عن وليد جديد ، تعاونت فى خلقه وتكوينه كل قوى الحياة وقد أعدت له الأيام رصيدا هائلا ستتلقاه به حتى يشب عن الطوق ، و يصلب عوده ، و يشتد أسره ، والعالم من أقصاه إلى أقصاه هو مهد ذلك الوليد الذى سيدرج فيه ، فعلينا نحن ان نهيئ له فى مجتمعنا المصرى ، الجو الصالح ، لينمو ويطرد نموه ، ونرسم له المثل العليا ليتأساها ، و يترسم خطاها ، فى دقة وحذر ، ومن غير الشاعر يستطيع رسم هذه المثل ، فى وضوح وجلاء ، وهل هذا الشاعر موجود بين شعرائنا المعاصرين ، ليستطيع الاضطلاع بهذه المهمة ؟ لقد توفر لغير واحد من شعرائنا حسن الأداء ، و إشراق التعبير ، ورصانة الاسلوب ، ولكن أكثرهم فقدوا صدق العاطفة ، وبقاوة الإحساس ، وسيظلون كذلك ما داموا يلوذون بالفرار ، من مواجهة "مشاكل الحياة" إلى "مشاكل القلوب" التى صدر الحكم فيها منذ زمن بعيد ، إن لم يكن فى طوق شعرائنا أن يتحرروا من هذه الأنغام والترانيم التى لا تبعث فينا أملا ، ولا تحيى رجاء ، فلسنا حريصين

على هذا الطراز من الشعراء الذى لا يستوحى فنه إلا من لقيا ، أو ميعاد ، على ضفاف نهر أو على ربوة مشرفة .

لا ينفعنا هذا العبث ، فالحياة جادة ، وهى تريد طرازا آخر ، يستلهم وحيه من أحداث الليالى ، وغير الأيام ، وحاجات المجتمع .

الفن إن لم يسلط أشعته النفاذة على كل أولئك فسيبرغورها ، ويصل إلى أعماقها فى سهولة ويسر ، ويستخلص منها العظة والعبرة ، فليس حقيقا بالخلود والإكبار .

مضى الزمن الذى راج فيه الأدب على أنه وسيلة من وسائل التسلية ، ونحن فى زمن يحتم فيه على الفن أن يضع اللبنة الأولى فى صرح هذا الجيل الجديد .

بين يدى وأنا أكتب هذه السطور ثلاثة دواوين لثلاثة من كبار شعرائنا المعروفين : شوقى ، وحافظ ، ومطران ، ومهما يكن من شىء فهذا الثالوث كان ذا أثر بين فى فترة ليست بالقصيرة من تاريخ الأدب الحديث وكانت لهم مدارس ولكل مدرسة شرعة ومنهاج فهل كان شوقى على حق حينما قال :

رب جار تلفت مصر توليه ... سؤال الكريم عن جيرانه
يعتنى معشر بما ... وطنى أو مهما بلسانه
كان شعرى الغناء فى فرح الشـ ... ـرق وكان العزاء فى أحزانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجر ... ح وأن نلتقى على أشجانه
نحن فى الفكر بالديار سواء ... كلنا مشفق على أوطانه

هل كان لهذه الأبيات وسواها من شعر شوقى أثرها فى توجيه حياتنا الاجتماعية ، إلى هدفها المرجو المنشود ، وهل استطاع أن يقف أمته وقفات حق كالتى قال فيها :

وقفات حق لم تقفها أمة ... إلا انثنت آمالها بنجاح
وإذا الشعوب بنوا حقيقة مدكهم ... جعلوا المآتم حائط الأفراح

كل هذه الأسئلة سيجيب عنها مقالى " الجانب الاجتماعى فى شعر شوقى ، حافظ ، مطران " فى الشهر القادم وسنرى إلى أى مدى احتفى شوقى بالناحية الاجتماعية ؟ وهل زحم حافظا فى هذه الناحية أم زحمه حافظ ؟ وكيف كان لون تلك الظروف التى أحاطت بالشاعرين ؟ ومن منهما كان حرا طليقا فأمسك عن الشدو والتغريد ؟ ثم اخيرا ما موقف شاعرنا مطران من صاحبيه ؟ هل جال معهما فى هذا الميدان جولات موفقة ؟ ثم ما قيمة الأثر الذى تركه هذا الثالوث فى مجتمعنا المصرى وهل قنع المجتمع بهذا الاثر الذى تطالعنا به دواوينهم ؟ ام طالبهم باكثر من هذا ، فلم يستجيبوا ... ...

هذا ما سنجليه فى كلماتنا القادمة التى نرجو أن يفهم منها شعراؤنا المعاصرون النواحى الخطيرة التى أغفلوها ، والتى ينبغى أن يحاولوا من جديد أن يجيلوا فيها عقولهم ، وقلوبهم ، ومواهبهم ، فى صدق وإخلاص ما

ا . ع . ا .